

تجربة قاسية

مترجمة عن الإنكليزية
بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار

على هذا النمط أن شعرت بالسأم وأحست بأن الحياة عبء ثقيل عليها، فكان لذلك كل عملها أن تقتل الوقت كأنما هي لا تريد إلا التخلص من حياتها جزءاً فجزءاً

ولسكنها مع هذا السأم من الحياة كانت زينة الحياة وبهجتها في أعين كثيرين، ومن

الغفلات الشائعة أن الناس يحسبون كل جملة العبيث وسبعة الوجه تكون حتماً ذات ذكاء يتناسب مع جمالها وتكون ذات روح شعرية

ولئن كان في السيدات من تجتمع فيهن هذه الصفات فإن صاحبتنا البارونة أديل لم تكن كذلك بل روحها قائمة مظلمة

وكانت متوسطة الطول نحيلة شديدة البياض بحيث يظهر في جلدها الناصع لون عموقها الزرقاء وهي جملة الوجه والأنف صغيرة الفم وردية الشفتين ذهبية الشعر ولكن عينيها كانتا أجمل شيء فيها فقد كانت نظراتها الوسنى مثل نظرات الحالم

وقد قضت سنوات في الحداد على زوجها تنتقل

بين البلدان فزارت إيطاليا وفرنسا الجنوبية وأسبانيا،

وكان أحب أماكن الاصطاف إليها جبال التيرول

حتى لقد جمعت كل صورها ومناظرها فوضعتها في

غرفة استقبالها. وفي يوم من الأيام أرادت أن تتسلق

إحدى قمم المسكلة بالجليد فلبست ثوباً من الفرو

وأمسكت بمصا غليظة وصعدت إلى الجبل قبيل

الغروب، فلما وصلت إلى مكان مرتفع منه كانت

الشمس قد غابت. ثم وجدت أنها ضالت الطريق

وأصبحت محاطة بحفائر مكدسة بالثلج بحيث

لا تستطيع العودة ولا الاستمرار في المشي

وحاولت عبثاً أن تجد لها منفذاً، فرأت من

إن التغير المستمر الذي طرأ على مراكز المرأة قد سبب كثيراً من مصائبنا الاجتماعية، ولا تزال الحالة تزداد كل يوم سوءاً

وما دامت المرأة ترى واجبها في الحياة أن تكون

أمّاً وزوجة وربة منزل فهي شريكة الرجل في سروره

وحزنه وغناه وفقره. ولكنها متى تركت هذا المجال

فلا يمكن أن تكون إلا واحدة من اثنتين: إما خادماً

للرجل وإما حاكمة له، ومن أجل ذلك كان أتمس

السيدات هن نساء الطبقة التي يدعونها بالطبقة

الراقية اللواتي لا يرين أنفسهن في حاجة إلى التفكير

في قوت يومهن واللواتي يقضين أيامهن كسالى

بليدات ويمهدن بكل واجب من واجباتهن إلى

آخريات، فانهن أقل شعوراً بالمسألة من سائر النساء

ولقد كانت بطلة هذه القصة من النوع الأخير

فانه نشأت وظلت طول عمرها لا تقدر مسئولية

لشيء، فهي تنتقل من يد المربية إلى يد المربية إلى

معلم الموسيقى والرقص دون أن تشعر في هذه

الأدوار إلا بأنها مخدومة وأن على غيرها واجبات

لها وليس عليها لأى إنسان أى واجب

وتزوجت من رجل متقدم في العمر فات وهي

لما تبلغ الخامسة والعشرين، وقد وجدت نفسها عند

موت غنية ذات معجبين كثيرين بجمالها وهي حرة

في اختيار ما تريد وترك ما تشاء، فكانت نتيجة حياتها

يزور بقاعاً مختلفة من الأرض

وفي اليوم التالي زارها فاردورف ودار الحديث عن زيارته لأصربكا الجنوبية وأفريقيا الشمالية وقرأ لها قصة أو قصتين من قصص إيفان ترجنيف . وكانت تصنى إلى حديثه منلذذة وتدعوه إلى تكرار زيارته فكررها . وصارت بعد ذلك تخرج معه إلى جبال التيرول وإلى غيرها من المتنزهات وتدعوه للعشاء كل ليلة . فأخذ الناس يتحدثون عن علاقتهما وعن احتمال زواجهما قبل أن يتم النفاخ على شيء من ذلك

وفي ليلة من الليالي كانا جالسين معاً في المنزل فقالت إديل : « إننا سنفترق سريعاً يا فاردورف » فقال : « لماذا ؟ »

قالت : « لأنني تقييت عن منزلي طويلاً وأريد العودة ، فهل تزورني هناك ؟ » فقال : « ما الذي تمنين ؟ هل تحبين ألا أزورك ؟ »

قالت : « ما الذي تعنيه أنت ؟ إنني أتألم كثيراً إذا ابتعدت عنك » فقال الروسي بلسان متلعثم : « هل تسمحين ؟ ... ألا يغضبك ... ؟ »

قالت : « تكلم : ما الذي يمنك من الكلام » فقال : « إنني أحبك يا إديل »

فأطالت البارونة التحدث في وجهه فقال : « لا تمنعيني عن الكلام حتى أقول كل ما أريد »

قالت : « ولكنني لم أعد أومن بالحب » فقال الروسي : « أعرف ذلك ولم أعلل نفسي قط بأنك ستجازيني على حبي بمنله ، ولكنك قلت لي مراراً

إنك تعيشين بنير غرض ولا تسرين من أي بواعث السرور فعيشي معي زوجة لي وأنا الكفيل بأن ينشأ في قلبك ميل لي بعد الزواج »

المستحيل أن تتقدم أو تتأخر أو تملو أو تهبط فاستغاثت بأعلى صوتها ، ولكنها لم تسمع غير صدى صوتها فأخرجت من جيب معطافها مسدساً وأطلقتته ولكنها لم تسمع غير دوى الطلقات ، فخارت قواها وجلست على صخرة بعد أن أزال ما عليها من الجليد وظلت تبكي

وبعد ربع ساعة صر عن كذب منها رجل بصفر فنادته وكنيته بالهجة لم تتكلم بها منذ سنوات وهي لهجة التوسل والضرعة وطلبت إليه أن ينقذها فحشى نحوها رافعاً قبعته محبباً باحترام . وعرض عليها مساعدته فشكرته شكر الضارع الخاضع ورأت من ثيابه ومن الأسلحة التي يحملها أنه من هواة الرياضة والصيد . ودلتها هيئته على القوة والاعجاب قال لها : « اسمحي لي أن أحملك »

فقالت : « أخشى أن أسبب لك تعباً كثيراً » قال : « لا داعي إلى مثل هذا القول »

ثم حمل البارونة بين يديه فشمرت وهي محمولة بشعور غريب لم تجربه من قبل . وكانت أنفاسه الحارة تدفئ خديها فتسائل نفسها أي شعور هو الذي تجده في نفسها في هذا الوقت ، هل هو الحب ؟ فلما وصل بها إلى الفندق الذي تقيم فيه شكرته ودعته إلى زيارتها ووعداها بأن يرافقها في فرصة أخرى إلى جبال التيرول . وسألته عن اسمه فقال إنه فردريك فون فاردورف

قالت : « أنت ذلك الروسي الشهير ؟ لقد سمعت اسمك بتردد كثيراً في الأوساط العالية »

فأخبرها فاردورف بأنه من أسرة ألمانية تنتمي إلى أصل روسي ، وأن ضياعه في كوتنرلاند ولكنه لم يزرها منذ سنوات لأنه كان في العهد الأخير

ومضى العام وهما يعيشان معاً في منزلها بغينا
وكان الليل ساجياً من ليالى الربيع الجميلة وهى جالسة
على نمرقة بجانب الشرفة وهو جالس عند قدميها
فقالت : « هل نسيت ؟ »

قال : « نسيت ماذا ؟ » فقالت : « هل نسيت
عهدنا ؟ إن اليوم موعده » فمرت جسم الروسي
رعدة باردة وقالت له همساً : « ادن منى وأخبرنى
ما هورأيك اليوم فى تمهذك قبل أن تسمع حكى »
قال : « إننى أرتمش ... » فقالت : « إذن
فاسمع الحكم : « إنك قد أقنعتنى بأنك تحببى فليس
عندى شك فى ذلك ... »

وهنا ارتجى الروسي على قدميها ليقبلاهما فقالت :
« لا تتسرع فانك لم تسمع بقية الحكم »

قال : ما الذى تعنين ؟ فقالت : « إنك أقنعتنى
بأنك تحببى ولكنك لم تستطع أن تجعلنى أحبك »
قال : « ما أشد قسوتك يا أدبل ! »

فقالت : « إننى أكلك كلاماً صريحاً شريفاً »
قال الروسي : « أما عند حكمك إذن فاقنعتنى »
فقالت : « هكذا سأفعل فاني ذاكرة عهدى .
وروحك الآن فى يدي وإن أتركها هبة لك . إننى
لا أحب ولكننى أريد أن أكون محبوبة وأن يحببى
من يحببى فيموت تحت قدمى وأنا أنظر إليه نظرة
احتقار »

قال : « هل تجدين فيما تقولين ؟ » فقالت : « ألا
تصدق ؟ هل حبك لنفسك أكبر من حبك لى ؟ »
قال : « كلا كلا : وإنى مستعد للموت »
فقامت وعادت وفى يدها زجاجة صغيرة مملوءة بمائل
أسود وقالت : « اشرب هذا »

فنظرت ادبل نظرة شاردة من النافذة دون أن
تجيبه بأي جواب وسكت الروسى لحظة ثم قال :
« قررى ياسيدتى بكامة منك إما حياتى وإما موتى »
فأجابته وهى تبسم : « الحياة أو الموت ؟ »
قال : « نعم إننى أعنى ما أقول فاني أفضل الموت
إذا لم تحببى » فقالت المرأة التى لا قلب لها : « هذا
بمجرد تعبير »

قال : « كلا ولكنك الحقيقة فاختارى لى الحياة
أو الموت » فقالت : « إننى سأعطيك مهلة عام فإذا
لم تستطع فى خلالها إقناعى بأنك تحببى حقيقة وإذا
لم تستطع أن تبث فى نفسى عاطفة الحب نحوك فاني
سأقضى عليك بأن تقتل نفسك »

قالت ذلك ثم بدأت تضحك ضحكاً عالياً فقال
الروسي وهو عابس مقطب : « إذا حكمت بعد انقضاء
العام بأنه لا أمل لى فى الحياة معك فاني أفعل كما
تريدين ولكن يكون لى عندك رجاء آخر »
قالت : « ماهو ؟ » فقال : « هو أن تقتلبنى أنت »
قالت : « لك ذلك » فقال : « ولكن هل
تستطيعين ؟ »

« ولم لا ؟ انه يستوى عندى أما أن تقتل
نفسك من أجلى أو أن أقتلك بيدي » فقال الروسي :
« إذن فعاهدبنى على أنه بعد انقضاء العام إما أن
تقتلبنى أو تزوجى منى »

قالت : « أعاهدك على ذلك ولكن يجب أن
تتذكر أنت أيضاً تمهذك عند انقضاء العام وألا
تنظر منى رحمة »

فقال : « لا وسط بين الحالتين فاما أن تكونى
لى وأما أن أموت »
ومد كلاهما يده إلى الآخر فتعاهدا على ذلك

إن المرأة التي تفعل ذلك لا تستطيع أن تملك ناسي «
قالت ادبل بصوت الخائف : « ألم تعد تحبني
يا فاردورف ؟ ما الذي جعلك تتغير هذا التغير الفجائي
ألم تعد تحبني ؟ » فقال : « إنني لا أحبك الآن
ولن أحبك في المستقبل ، وداعاً ! »

فطوقت ادبل عنقه بذراعيها وقالت : « أستحلفك
بحق السماء ألا تجعلني أنمس إنسانة في الوجود »
فقال : « أنت التي أنمستني وأنمست نفسك ، وداعاً »
قال ذلك ثم تخلص منها فارتدت على قدميه ولكن
ذلك لم يفد وأظهر قوة إرادته فخرج مغضباً
ولما جاءت الخادمة وجدت إدبل مستلقية على
الأرض جثة هامدة »

عبد اللطيف النشار

فتناولها وقال : « أشرب في حبك يا أدبل »
ثم قال : « ناوليني يدك فان قواي تخونني »
ثم أظلمت الدنيا في عينيه . وبعد ساعتين أفاق
فوجد رأسه على حجرها وهي تنظر إليه وعلى وجهها
ابتسامة دالة على السعادة
قال : « ما الذي حدث ؟ » فنادته باسمه بصوت
عذب فقال : « هل أما أحلم الآن ؟ ألم أمت ؟ »
قالت : « كلا وستعيش وستكون لى زوجاً
فانى أحبك كما تحبني » فقال : « وما هو السائل
الأسود الذي في الزجاج ؟ ألم يكن سما ؟ »
قالت : « كلا ، ولكنه مخدر » فقال : « لماذا ؟ »
قالت : « لكي أجربك » فوقف الرومي
مسرعاً وقال : « تقولين إنك تحببني ولكنك مع
ذلك تتركيني أقامى أشد الآلام بقصد اللهو والتسلية

مؤلفات

الأستاذ محمد كامل حجاج

- ٤٠ بلاغة العرب جزءان (مختارات من صفوة
الأدب الفرنسي والانكليزي والألماني
والإيطالي مع تراجم الشعراء والكتاب)
٢٠ خواطر الخيال وإملاء الوجدان (متفرقات
في الأدب والنقد والفلسفة والموسيقى
والحيوان وبه روايتان تمثيلتان)
١٨ نباتات الزينة العشبية (محلي باحدى وتسمين
صورة فنية)
١٥ Les Plantes Herbacées (محلي بنفس
الصور السابقة)

الكتاب الأول والثاني في جميع المكتبات الشهيرة
وكتب الزراعة تطلب من
شركة البزور المصرية بيدان ابراهيم باشا

كتابان قيان

سبظهرانه في أواخر أغسطس

هكذا تكلم زرادشت

الفيلسوف الألماني فردريك نيتشه

اعترافات فتى العصر

للشاعر الخالد ألفريد دي موسيه

وكلاهما ترجمة الأستاذ

فليكس فارسى

من أرسل ٢٠ قرشاً قبل صدور الكتابين عد مشتركا
فيرسل له الكتابان إلى حيث يقيم داخل القطر أو خارجه
« دون علامة لأجرة البريد » ومن أرسل ٢٥ قرشاً
يرسل له أيضاً كتاب « رسالة المنبر إلى الشرق العربي »
تأليف المترجم — العنوان : إدارة مطبعة البصير بالاسكندرية